

المنافشة الختامية



المنافسة الختامية

هل الإسلام دين ودولة أم مجرد قيم روحية ؟

كتبت منة في آخر ردّها : " وختاماً اسمح لى بخمسة فضفضة حتى اوضح اكثر وجهات نظرى فيما نحن مختلفان فيه،،

اولا: هل الاسلام دين بمعنى "قيمة روحانية" ام هو دين ودولة بما يجعله اقرب "لايدولوجيا سياسية"؟؟ "

اعلمي يا بنتي أن الدين الإسلامي كما أفهمه عقيدة وشرعية وأخلاق وآداب وبالنسبة لعلاقة الإسلام بالسياسة فلم يحدد الإسلام نظاماً معيناً للحكم لكنه اشترط في أي نظام إسلامي أساساً أهمها أن يتصف بالعدل ، والمساواة ، والشورى ، وإصلاح حال البلاد والعباد ، ولا ينقض أصلاً من أصول الدين كما يشترط رضا المحكومين عن الحاكم . وللمحكومين أن يختاروا من شاءوا اختياراً حرّاً ولهم حق محاسبته وعزله ومحاكمته .

وإني أرى أن دستور ٢٠١٤ الذي أقرّه الأزهر الشريف والكنيسة المصرية وأغلبية المصريين وأنا واحد منهم صالح للمرحلة الراهنة .

وتجيب منة عن السؤال الذي طرحته قائلة : " بالنسبة لى بالطبع أوّمن بالاسلام كدين وكقيم روحية وألتزم بشرائعه لكنى ببساطة لا ارى الاسلام يصلح لبناء دولة، لان بناء الدولة على اسس دينية يجعل منها دولة عنصرية " .

يا بنتي كيف يستقيم قولك أنك تؤمنين بالإسلام كدين وتلتزمين بشرائعه ، وأنت تطعنين في أصوله وثوابته وتدافعين عن الصادّين عن سبيله ، وهناك فرق كبير

بين الغيورين على الدين الراغبين في تجديد خطابه الديني وبين المشككين في المعلوم من الدين بالضرورة .

مفهوم الدولة في الإسلام

أما عن مفهوم الدولة في الإسلام فاعلمي يا بنتي إن الدولة في الإسلام دولة مدنيّة بالمفهوم الحديث لا دولة دينية (ثيوقراطية) تخضع لسيطرة رجال الدين بل هي تلتزم بالقرار الشعبي الذي إذا ارتضى طوعية - مثلاً - أن تكون مبادئ الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسي للتشريع فلا بد أن يجاب إلى طلبه " قال الشيخ محمد عبده " ليس في الإسلام ما يسمى عند القوم بالسلطة الدينية بوجه من الوجوه " . فالإسلام يفتح الباب واسعاً للتفكير العقلي والعلم التجريبي وحرية الاعتقاد وحرية الرأي، ومساواة المواطنين في الحقوق والواجبات وعدم التمييز على أساس الدين ، أو النوع ، أو اللون .

وأتمنى أن تكوني صادقة في إيمانك بدين الإسلام وتعملين على تصحيح المفاهيم الخاطئة التي تفتت في كثير من المسلمين وتردين الشبهات المغرضة التي يثيرها أعداء الدين .

الثابت والمتغير في الشريعة الإسلامية

تقول منة استكمالاً لمفهومها عن الدين : " كما ان ادراكنا كأفراد مع تراكم المعرفة وتطور الحضارة الانسانية جعل منظومة الاخلاق لدينا ارقى من تلك التي كانت موجودة وقت نزول الاسلام. لذلك استطاع الاسلام بشريعته ان يدفع المجتمع للامام ويرتقى بحالة الافراد والمجتمع بصورة عامة، وسأستخدم نفس المثال الذي استخدمته حضرتك عند الحديث عن المرأة وهو "وأد الفتيات" فقد كانت القبائل تنظر للانثى كمصدر للعار وذلك بسبب انتشار ثقافة الاغارة والسبي من القبائل الاخرى، وليس لكونها أنثى فقط، وعندما جاء الاسلام وأعلى من قيمة الحياة وحرمة قتل الابناء فقد ارتقى بالمنظومة الاخلاقية في تلك البيئة، ومنطقيا ان هذا المثال

لا يمكن الاستدلال به بعد ألف واربعمئة عام في محاولة تبرير وضع المرأة المهيمن في المجتمعات الإسلامية اليوم، فما يقوم به دعاة الشريعة هو العكس تماماً، أي العودة بالمجتمع وبالمنظومة الأخلاقية للخلف. "

يا بنتي إذا كان شرط التقدم والتحضر تطوير العلم والتكنولوجيا فإن الدين - خاصة إذا كان خاتم الأديان السماوية - ومكارم الأخلاق - خاصة إذا كانت غاية هذا الدين - غير قابلين للتبديل والتحريف وإن كانا قابلين للفهم المتجدد من أهل العلم والتخصص . وهذا لا يعرقل مسيرة العلم والتكنولوجيا بل يدعمهما ويحث عليهما بل يجعلهما فريضة دينية وواجبا وطنياً .

واعتقد أنك توافقيني الرأي في أن الفواحش والمنكرات كالإباحية ، والشذوذ الجنسي ، وشرب الخمر ، وتفسخ الأسرة ، والخلاعة والمجون ، وعري النساء ، لا علاقة لها بالتقدم بل هي عوامل هدم ، أم تراك ترينها شرطاً من شروط التقدم في العصر الحديث !!

منظومة أخلاق الدول العلمانية نعم تشتمل على بعض القيم الإيجابية مثل : إتقان العمل ، واحترام النظام ، والنظافة ... وهذا كله من أخلاق الإسلام التي أهملها للأسف كثير من المسلمين " إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُقِنَّهُ. " [صححه الألباني] " إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ يُحِبُّ الطَّيِّبَ نَظِيفٌ يُحِبُّ النَّظَافَةَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ جَوَادٌ يُحِبُّ الْجُودَ " [الترمذي] " إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ "

[صحيح مسلم]

إن مقومات الحضارة الحقيقية - وليست المدنية أو العمران أو الثقافية - لا بد أن يتوفر فيها جانبان :

١- دين سماوي (عقيدة ، وعبادة ، وشرعية ، وأخلاق) .

٢- إبداع إنساني : علمي (علوم : إنسانية ، وطبيعية ، ورياضية ، وفلكية ...) وتقني (اختراعات متطورة) ومادي (تشديد وبناء ...) وفني (أدب ، ورسم

، ونحت ، وموسيقى ، وتصوير) وبدني (رياضة : فروسيّة ، رماية ، سباحة ، عدو ، ..) .

فالحضارة إذن لا بد أن تشبع جميع كيان الإنسان روحياً (عقيدة وعبادة) وعقلياً (علوم ومعارف) وقلبيّاً (فنون وآداب) وإنسانياً (مكارم في الأخلاق ، واستقامة في السلوك) وجسديّاً (صحة ونشاط ، وخلو من الأمراض) كما لا بدّ أن تكون هادية لغيرها ، ناشرة لخيرها ، محافظة على توازن الإنسان والكون ولم تكتمل هذه العناصر مجتمعة إلا في الحضارة المصريّة القديمة والحضارة الإسلاميّة الوسيطة . (١)

فمقومات الحضارة الطبيعيّة والبشريّة فحسب لا يصنعان حضارة حقيقيّة قد يصنعان تقدماً علمياً وتكنولوجياً ، يغزوان البلاد ويذلّان العباد ولا يحققان إلا البؤس والشقاء ، ومصيرهما الهلاك والفناء ؛ قد يُحقّق التقدّم العلمي والتكنولوجيا مكاسب ماديّة ومغانم اقتصاديّة لكنه أبداً لن يحقّق سعادة النفس ولا طمأنينة القلب ولا غذاء الروح ؛ فإن لم تُقَم المَدَنِيّة على دين صحيح فإنها لن تصنع إنساناً سوياً ، ولن تقيم حضارة خالدة تنفع الإنسانية . وهذا هو حال جميع مَدَنِيّات الممالك والإمبراطوريات التي لم تُبْنِ على تعاليم السماء (الحق والعدل وحسن الخلق) كلها زالت غير مأسوف عليها بسبب ضلالها وظلمها .

هل كتب الفقه ورجاله مقدسون ؟

تقول منة في ردها : " ثانياً: حضرتك وغيرك من السلفيين تدعون ان كتب الفقه ورجاله واعلم الحديث والتراث، كلها مقدسات "راجع ما كتبته بشأن تبرير سجن اسلام بحيرى" وبدونها لن نتمكن من معرفة الصواب والخطأ، ثم تعود وتقول أن الاسلام لا يوجد به كهنوت!!! " .

(١) " ميزان الحق بين العلمانية اللادينية والسلفية الأصولية " للمؤلف ص ٣٠٩ ، ٣١٠ مكتبة مديولي.

أولاً : أنا لست سلفياً بل نقدت السلفية اللاأصولية في كل كتبي الدينية خاصة " المدارس السلفية جدلية النقل والعقل والمصلحة " .

ثانياً : أنا لم أقل إن كتب الفقه مقدسات ولا العلماء مقدسين فالعلماء هم الذين قالوا لنا " رأيي صواب يحتمل الخطأ ، ورأيي غيري خطأ يحتمل الصواب " و " ما من أحد إلا مأخوذ من قوله ومردود عليه إلا النبي ﷺ و " لا تتظر إلى من قال وانظر إلى ما قال " وأن خطأ البحيري يكمن في رأيي في أسلوب السب والشتم والإثارة الذي لا يتناسب وقضايا الدين التي يتناولها ولا يناسب كرامة العلماء الذين يسبهم .

والدعوة إلى اتباع الأسلوب العلمي واحترام العلماء ليس تقديساً لهم إنما هو أبسط حقوقهم علينا ولا يعني احترامهم أن نسلم لهم بكل ما يقولونه .

هل هناك وساطة بين العبد وربه ؟

قالت منة في ردها الختامي : " بالطبع فان فلسفة الاسلام الاصلية وقت نزوله كانت انعدام الوساطة بين الانسان وربه، لكن واقع المسلمين اليوم يخالف ذلك، فهناك فئة تحتكر التشريع باسم الله وتجعل نت اجماعهم على رأى بشرى سلطة توازى قداسة النص الدينى، وعندما تخالفهم يشهرون فى وجهك سيف "اجماع الفقهاء"، فى حين ان هؤلاء الفقهاء بشر مثلنا ورأيهم غير ملزم لنا. " .

وأنا أوافقك يا بنتي على أنه ليس في الإسلام رجال دين وسطاء بين العبد وربه إنما في الإسلام علماء دين يبينون للناس أمور دينهم ومن حق كل مسلم أن يختار لنفسه ما يشاء وسوف يحاسبه ربه على اختياراته وأعماله .

هل منظومة المعرفة الإسلامية ترفض النقاش ؟

تقول منة في ردها الختامي أيضاً : " فالمنظومة المعرفية الإسلامية ترفض النقاش نتيجة ما سبق وتصنفه كتشكيك أو تحريض أو إثارة فتنة، وهى نفس التهم التى وجهت لاسلام البحيرى رغم انه لم يشكك لا فى القرآن ولم يسئ للنبي. " .

هناك فرق كبير بين النقاش العلمي بين أهل العلم والتخصص في معاهد العلم ومجالسه ، وبين أسلوب الهجوم والسب والقذف وإعلان ذلك على الناس أجمعين، ولا يشارك معه أحد العلماء المتخصصين لمناقشته فيما يقول .

وإذا كانت الدول العلمانية تسمح بحرية الرأي في مجال الدين الذي لا تأثير له في حياتهم ومعاشهم ومعادهم فإنها لا تسمح به في مجال العلم الذي يمس حياة الناس ومعاشهم .

لماذا تحولت مئة من متدينة إلى علمانية ؟

تقول منة : " لماذا تحولت من فتاة متدينة قرأت كل كتب الغزالي والشعراوي لاحدى دعاة العلمانية؟؟؟

لانى رأيك النتائج على ارض الواقع من تطبيق القانون الدينى فى دولة حديثة والامثلة أكثر مما تحصى، فالقانون العلمانى يضمن المساواة بين المواطنين فى حين ان الشريعة لا توجد بها مساواة لا بين الرجل والمرأة ولا بين المسلم وغير المسلم، وحيث "لا مساواة" فانه لا وطن ولا دولة ولا حقوق. " .

- أولاً : مصر لا تطبق القانون الديني بل هي دولة مدنية - كما أسلفنا القول - أما أن الإسلام لا توجد فيه مساواة بين الرجل والمرأة فالرجاء إعادة قراءة ما ذكرته في هذا المجال بتجرد ، أما أن الإسلام يفرق بين المسلم وغير المسلم في الحقوق والواجبات فإنك لم تذكر لي مثلاً واحداً يدل على هذا ، بل العكس هو الصحيح إن حسن معاملة المسلمين لغير المسلمين كانت الدافع إلى دخولهم في دين الله أفواجا .

تقول منة " فالشريعة الاسلامية لا تصلح لتأسيس دولة حديثة.. دولة المساواة بين المواطنين. " .

- وهذا الأمر سبق الرد عليه

- " اما العلمانية فتعنى ان الدولة لا تتبنى ديناً ولا تحارب ديناً وبالتالي تضمن حرية الاعتقاد للجميع، خاصة في المجتمعات التي توجد فيها اقلية دينية. "

- ومصر اختار غالبية شعبها أن تكون " أن تكون مبادئ الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسي للتشريع " ولا تحارب ديناً وتضمن حرية الاعتقاد للجميع .

- ثانياً: العلمانية الديمقراطية لا تلغى الدين ولا تنكره، فهي هي الدول العلمانية تستضيف الاف المسلمين وغيرهم من الذين تعرضوا للاضطهاد في بلادهم وتسمح لهم بممارسة شعائهم الدينية وبناء مساجدهم وتكوين منظماتهم بحرية .

ثالثاً: العلمانية نظام سياسى وفكرة لا يوجد به مبدأ مطلق ما عدا "المواطنة" اما غير ذلك من مبادئ دينية او عقائدية او فكرية فانها مبادئ قابلة للنقاش والرفض والقبول من مواطنى البلد العلمانى.

رابعاً: تحمى العلمانية الديمقراطية حرية الفكر والتعبير والنقد، اذ لا نهضة حضارية وعلمية بدون حرية فكرية وسياسية واجتماعية."

- إن مثل العلمانيين الذين يريدوننا أن نقلد الدول العلمانية كمثال السلفيين الذين يريدوننا أن نقلد العادات العربية فإذا كانت حجة السلفيين أن المسلمين ما وصلوا إلى ما وصلوا إليه في أزهى عصورهم إلا بفضل تمسكهم بالدين ، واعتقادهم أن التمسك بأقوال وآراء بعض السلف سيحقق لهم ما تحقق لأسلافهم من ظهور على سائر الأمم . فإن العلمانيين يقولون إن أوربا ما تقدّمت إلا بعدما طرحت الدين وراء ظهرها وأخذت في أسباب العلم المادي .

والحق أن كلا الفريقين مصيب ومخطئ ، فنعم تقدم المسلمون عندما تمسكوا بالإسلام لكن فهمهم للإسلام يختلف عن فهم الوعاظ النصيين الحرفيين له .

فقد فهموا الإسلام على أنه نظام شامل دين ودنيا ، مأثور ومعقول ، إيمان وعمل لا كما يفهمه النصيون الحرفيون على أنه نقل لا عقل فيه ومأثور لا فقه فيه وثبات لا تطور فيه !!

كما أن أوربا ما تقدّمت إلا بعدما طرحت الدين وراء ظهرها وأخذت في أسباب العلم المادي وهذا حق ، ولكن الحق أيضاً أن الدين الذي طرحته أوربا والذي كان عائناً للتقدم العلمي والذي حكم رجال دينه على جاليليو بالهرطقة والكفر واضطروه إلى العدول عن نظرياته العلمية ! ليس هو دين الإسلام الذي يجعل العلم ، بمفهومه الشامل ، فريضة وأن لا تعارض بين الفهم الصحيح للدين والحقائق العلمية . (١)

وأخيراً أهمس في إذنك يا بنتي بكلمة أخيرة .

اعلمي يا بنتي أن الكفر غباء فالذي يرى نِعَمَ الله تعالى التي لا يحصيها عد ثم يكفر بالخالق خاصة إذا كان ممن يشتغل بالعلم مثل : دوكنز فإنه أقل ما يوصف به أنه غبي وظلوم كَفَّار ﴿وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

ثم ما موقف هؤلاء الملحدين أو المشككين في دين الله وشريعته لو صدق الله ورسوله ، وكان هناك بعث ونشور وحساب ؟ ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧] .

المشكلة أن ليس هناك فرصة أخرى بعد الموت يصحح فيها العلمانيون فكرتهم عن الكون وخالقه ، والدين وحقيقته ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾ [الرؤم: ٥٧] ﴿وَأَنبِئُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ * وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ * أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ * أَوْ تَقُولَ

(١) " ميزان الحق بين العلمانية اللادينية والسلفية اللاأصولية " للمؤلف ص ١٢ ، ١٣ مكتبة مدبولي .

حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ * بَلَى قَدْ جَاءَنَّكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ [الرُّم: ٥٤ - ٥٩]

نعم هناك دعاة إلى الله متخلفون يصدون عن دين الله ولسنا مطالبين باتباع كل ما نسمع من دعاة الدين أو غيرهم إنما أمرنا {الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ} [الرُّم: ١٨] .

أما إذا لم يكن هناك إله خالق للكون كما يقول العلمانيون وليس هناك بعث ولا نشور ولا حساب فإن المؤمنين لن يخسروا شيئاً إنما عاشوا سعداء بإيمانهم الذي جعل لهم هدفاً وغاية وأمرهم بمكارم الأخلاق .
